قواعد تربوية

رمضان ١٤٤٤

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الاثنين 19 رمضان

(سورة النمل -موضوع الحمد)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من الشاكرين على نعمائه، فهو الذي يتفضل على عباده بأن يشرح صدورهم للشكر، ويحفظهم من الجحود والكفر. فنسأله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلنا من الشاكرين على الإيمان، على القرآن، على العلم العظيم الذي علمنا إياه، وعلى التزكية العظيمة التي ورثناها عن رسولنا الكريم ﷺ، بعثه الله يعلم العباد ويزكيهم ويطهرهم، فالحمد لله الذي منّ علينا بهذه النعم، نشكره -عزَّ وجلَّ- أن جعلنا للعمل واعين، وللقرآن محبين، وعلى سنة نبينا محمد ﷺ مقبلين، اللهم لك الحمد كثيرًا كما أنعمت كثيرًا، نعوذ بالله من الكفر والجحود، نسأله -عزَّ وجلَّ- أن يسلمنا ويحفظنا نحن وذرياتنا والمسلمين أجمعين من أن نشابه الكفرة الملعونين الذين قال عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1].

اليوم بإذن الله سنقف مع سورة النمل العظيمة التي حملت في طياتها أخبارًا عظيمة وأمورًا نقف أمامها مندهشين، تفاصيل لا يمكن أن نكون عليها مطلعين لو لم يأتِ الوحي بها.

---

[1] () النمل: 14.

عرفنا رب العالمين في سورة النمل على الجاحدين المنكرين، وعرفنا أيضًا على الحامدين الشاكرين، وأرشدنا أن نتهذب بتهذيبهم ونتقي أن نكون مثل نماذج الكفر والفسوق.

في هذه الساعة نرجو من الله أن يجعلنا ممن انتفع بهذه السورة في هذا الباب، وأبواب السورة كثيرة، ومثل كل سور القرآن العلم فيها غزير، والواقف على باب هذه السورة التي سورت العلم وأحاطت به، الواقف على باب هذا السور كل مرة يقف وهو مستعد لتلقي الخيرات، مستعد لتغذية روحه بالمسرات. يقف فيسقى ويطعم ما تنتعش به الروح وتتأدب به النفس وتسمو وتزكو وترتفع وتشعر بالطهارة، أطيب شعور يشعر به الإنسان هو أن يكون طاهرًا، ولنتمثل ذلك حين نشعر بطهارة البدن، وكيف عند الاغتسال يشعر الإنسان بانتعاش يدخل إلى نفسه، أعظم من هذا ما يجده طالب العلم من القرآن، ومن كلام النبي الكريم ﷺ، فإن روحه تسقى بهذه الخيرات فتنتعش غاية الانتعاش، فالحمد لله رب العالمين أن جعل القرآن العظيم يسيرًا، نعمة عظيمة أن جعل هذا القرآن العظيم يسيرًا على من أقبل عليه واعتنى به. ونسأله -سبحانه وتعالى- أن تظل ألطافه ومعونته مستمرة علينا، وواصلة منه إلينا، فهو أكرم الأكرمين، وخير الراحمين، وموصل المنقطعين، ومجيب السائلين، ميسر الأمور العسيرة، وفاتح أبواب بركاته، والمزجل في جميع الأوقات هباته، ميسر القرآن للمتذكرين ومسهل طرقه وأبوابه للمقبلين، وممدد مائدة خيراته وبركاته للمتدبرين، والحمد لله رب العالمين.

وها نحن نقف على هذا الموضوع المهم، موضوع الحمد والشكر الذي يقابله: الجحود. سنقف اليوم بطريقة مختلفة فسنتنقل في سورة النمل تنقلًا

يجمع لنا أحد أهم مواضيعها وهو موضوع الحمد والشكر لرب العالمين، ونرى حال الحامدين، ونرى -فيما يقابله- حال المخالفين، وكيف فرق -عزَّ وجلَّ- بحكمته بين هؤلاء وهؤلاء، سبحانه وتعالى.

حبذا يكون معنا المصحف ليحصل التنقل بصورة يسيرة، نرى مطلع هذه السورة العظيمة والكلام عن فضل القرآن، إلى أن نصل إلى قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون، ونجد عرضًا سريعًا لما حصل بين موسى -عليه السلام- وبين فرعون، وكيف أن الله قد أعطى موسى -عليه السلام- من الآيات البينات التي لا يمكن لعاقل صادق إلا أن يدرك أنها خوارق دالة على صدق موسى -عليه السلام-، وأنه بعث من عند رب العالمين.

لكن ماذا فعلوا لما جاءتهم الآيات مبصرة؟ ونتصور هذا الوصف؛ وصف الله -عزَّ وجلَّ- الآيات بأنها مبصرة، يعني مضيئة تدل على الحق ويبصر بها كما تبصر الأبصار في الشمس، قالوا: (سِحْرٌ مُّبِينٌ)، فوصفهم رب العالمين من الآيات المبصرة، فكشف لنا المستور في أفئدتهم. يمكن أن تقول: هل يُعقل أن يرى قوم صالح -كما سيأتي في القصة الثانية- الناقة أمام أعينهم ويرون أنها آية مختلفة، ثم يجحدون بها؟ هل معقول هذا؟ ومثل هؤلاء قوم فرعون، الله -عزَّ وجلَّ- ذكر أن الآيات كانت مبصرة واضحة، ما الذي في نفسهم؟ هل معقول أنهم ما صدقوا بالآيات؟ ما تيقنوا أن هذه آيات من عند رب العالمين؟ رب العالمين يبين لنا حقيقة ما في نفوسهم، وهذا نسمعه في الآية الرابعة عشر:

(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14))

الذي حصل أنهم جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، كفروا وكانوا من الجاحدين رغم أن أنفسهم من الداخل متيقنة أن هذا هو الحق، جحودهم ليس مستند إلى الشك والريب، إنما جحودهم مع علمهم ويقينهم بصحتها فكان هذا منهم ظلمًا، فوضعوا حق ربهم في غير مكانه، وظلموا أنفسهم، وكان هذا علوًا واستكبارًا من نفوسهم على الحق، لا يريدون أن ينقادوا لموسى (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) بعد أن كانوا منعم عليهم دمرهم الله، وأغرقهم في البحر، وأخزاهم، وأورث مساكنهم المستضعفين من عباده، فيا لخطورة الجحود، كيف يكون أثره على صاحبه عظيمًا، ويدخل نفسه في المهالك، وهو يظن أن ما يملكه من شأن الدنيا لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحول، لا يدري عن حقيقة الموقف.

الذين يواجهون آيات الله، يرون آيات الله وهي حولهم ومحيطة بهم، ما حقيقة موقفهم في كفرانهم؟ حقيقة موقفهم في كفرانهم بعدما تكون الآيات بينة، صريحة، واضحة، أنهم جحدوا بها واستيقنتا أنفسهم، يأتي العلم، تأتي الأخبار، يأتي الحق فتختلف النفوس في تصورها للحق، تختلف في كونها ترى الحق نعمة فتقبل عليه، وتشكر رب العالمين أن خصها بالحق أو ترى الحق مكانًا للصراع، تريد أن تصرع الحق وتريد أن تظهر الباطل وهواها، فتجحد الحق وتكفر به رغم يقينها أنه حق، فيا لغباء من يفعل هذا! تصور هذا الموقف في الواقع؛ أن نملة ضعيفة تريد أن تؤذي جبلًا كبيرًا، ماذا تكونين على الجبل ومن أين لك أن تأتي بإيذائه؟! وهكذا أهل الباطل مع أهل الحق، يريدون أن يناطحوا بهواهم جبال الحق

الثابتة، فيخزيهم الله. لكن ألا يوجد نماذج آمنت واتقت، ورأت العلم والحق خير عليها؟ بلى، أخبرنا الله بذلك في سورة النمل وأخبرنا عن داوود وسليمان، لذلك في الآية الرابعة عشر قال، عزَّ وجلَّ: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)) في الآية الخامسة عشر أخبرنا عن داوود وسليمان وكيف كان موقفهم من العلم:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15))

أمام جحود فرعون وقومه العلم أخبرنا -عزَّ وجلَّ- عن داوود وسليمان كيف أن الله آتاهما علمًا، وهذه منة عظيمة على داوود وسليمان ابنه، تفضل الله بالعلم الواسع الكبير، ونلاحظ أن "العلم" نكرة تدل على أنه علم واسع كثير، ماذا فعلا نحو هذا العلم، قالا شاكرين ربهما هذه النعمة العظيمة بالتعليم: (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) فكانت هذه طريقة المؤمنين التي يتعلمونها؛ أنهم كلما زادوا علمًا زادوا شكرًا لله، وعلموا أن الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي خصهم بذلك، فنحمد الله الذي جعلنا مؤمنين، والمؤمنين أهل السعادة والحمد لله الذي خصنا بالعلم وهو عنوان السعادة.

نرى داوود وسليمان ماذا كان حالهم، ولنتبع هذا، ولنكن حذرين من أن نكون ممن يأتيهم العلم بينًا واضحًا فيدافعوه بأهوائهم. فلنعلم من هذا الخبر الذي جاء عن داوود وسليمان وهما من أنبياء الله، من خواص الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم، لكنهم من جملة الأنبياء الكرام

الذين نوّه الله بذكرهم، ومدحهم في كتابه، فهم حمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد؛ أن يكون شاكرًا لنعمائه على نعمه الدينية والدنيوية، وأن ينسب كل هذه النعم إلى ربه فلا يفخر ولا يعجب بها، بل كلما زادت النعم زاد شكرًا، وزاد شعورًا في فقره لربه، وزاد شعورًا أن مسؤولية الشكر زادت عليه. على ماذا مدحهم رب العالمين؟ على أنهم شاكرون، وهذا من أعظم النعم؛ أن يكون الإنسان منعم عليه وشاعر بنعمة الله، وشاكر لنعمة الله. ويعالج نفسه، كما سيتبين من طريقة سليمان عليه السلام.

هذا مبدأ الخبر عن سليمان -عليه السلام- أنه كان حامدًا شاكرًا لرب العالمين. نأتي بعد ذلك إلى موقف من مواقفه الذي يظهر من خلاله أنه حقًا شاكرًا لله. ننتقل إلى خبر لطيف أتى في سياق الكلام عما تفضل به الله -عزَّ وجلَّ- على سليمان، والأخبار، كما في الآية السادسة عشر، أن سليمان وداوود علمهما رب العالمين منطق الطير، وأن لهم جنودًا من الإنس والجن والطير جميعًا يسعون في إصلاح الأرض وفي إعمارها.

قضية الانتفاع بما وهب الله تحتاج إلى مواقف وبيان أكثر وأكثر، لكن نركز الآن على أمر واحد وهو حال المؤمن حين يهبه الله نعمًا، وكيف أنه يخالف حال الجاحد، ومنه نخرج بالقاعدة التربوية التي بها نربي ونزكي أنفسنا. هؤلاء الجنود لهم وظائفهم (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ) ويأتي هذا الخبر اللطيف عن موقف النمل من داوود -عليه السلام- وكيف أن هذه النملة خاطبت بقية النمل وأمرتهم أن يدخلوا مساكنهم لأجل ألا يحطمنهم سليمان وجنوده، وتعذرت لهم بأنهم لا يشعرون. سمعها سليمان -عليه السلام- فماذا فعل؟ هذا هو الموقف الذي نحن

بصدده، ماذا فعل لما سمعها؟ (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) وهنا نفكر لماذا تبسم، ماذا في قولها يدخل عليه السرور؟ وهذا سيفتح لنا ما وراءه وهو قوله: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ).

تبسم ضاحكًا لأن هذه النملة لما أمرت أخواتها وفريقها بأن يدخلوا، تعذرت لسليمان -عليه السلام- بأنه هو وجنوده لا يشعرون، فوصمته وجنده بالصلاح والرأفة وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، فهذا تنويه برأفته وعدله، بكل المخلوقات وهنا سليمان -عليه السلام- يتبسم ضاحكًا لاشتهار شأنه وشأن جنده بالعدل. يعني أنه عُرِف بالعدل وكونه عرف بالعدل حتى أن النملة أخبرت عن هذا الشأن، هذا مما يفرح ويدخل السرور.

فالسبب الأول لتبسمه: أنه يكون من فرحه وسروره بكلامها، مما يدل على ظهور رحمته ورحمة جنوده، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى.

والسبب الثاني الذي يمكن أن يكون سببًا لتبسمه: شعوره بأن الله آتاه ما لم يؤت أحد من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعنى كلامها.

لكن الأمر الأوضح أن تبسمه بسبب اشتهار هذه الحال عنه، وهذا مما يدخل في النفس الفرح والسرور، وهنا تحدث نقطة الخطر، فهو معروف عنه العدل ومشهور عنه التقوى، إضافة إلى أنه يسمع ويفهم كلام النملة وغيره لا يفهم. لحظة فارق بين هذا وذاك، بين أن يتحول هذا الفرح إلى عُجب، أو يكون هذا الفرح قربى إلى رب العالمين، والفارق هذا الذي

سنتعلمه من موقف سليمان -عليه السلام- (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) وهنا كلمة "أَوْزِعْنِي" تحتاج إلى شيء من التأمل، لأنك لو نظرت في نفس السياق نسمع في الآية السابعة عشر (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) ما معنى أنهم يوزعون؟ الوزع: الكف عما لا يريد. فهم يأتمرون بأمره، وهو يقول: (رَبِّ أَوْزِعْنِي) كيف يكون المعنى: رب كُفني؟ هذه الهمزة اسمها همزة الإزالة، بمعنى أنه يريد من رب العالمين أن يزيل عنه كل ما يكفه ويمنعه من الشكر. كف عني كل ما يمنعني من الشكر، اجعلني مقبلًا على شكرك، كل مانع يمنعني من الشكر أزله عني. بمعنى أنه -عليه السلام- يصور لنا أن هناك موانع قد تمنع الإنسان من الشكر؛ غفلته وانشغاله وكثرة الأمور وتسارعها عليه، وأحيانًا قد يكون غفلته عن نفس النعمة. أمور متتابعة قد تسبب للإنسان أن يضعف فيها شكره، فسليمان -عليه السلام- يطلب من رب العالمين أن يزيل كل موانع الشكر (أَوْزِعْنِي) وزع بمعنى كف، كما في الآية السابقة، الهمزة همزة الإزالة، أزل الوزع، بمعنى كل شيء يمنعني عن شكرك أزله عني من غفلة ونسيان وعجب، وما أخطر العجب! الغفلة عن نفس النعم، كل هذا أزله عني لكي أكون شاكرًا. المعنى: وفقني للشكر، ألهمني الشكر، اشرح صدري للشكر، اجعلني ملازمًا شكر نعمتك. وهذا أمر يجب ألا يغيب عنا أبدًا، أن نطلب من ربنا أن يوزعنا للشكر، هذا غير الشكر نفسه، لأن الأيام تجري والنعم عظيمة وكثيرة والأحداث متسارعة في حياتنا، الصحة والعافية والأمن والأمان، من نعم الدنيا وأعظم منها الإيمان وانشراح الصدر لعبادة الله وطاعته، وقراءة القرآن، وأمور كثيرة لا نستطيع عدها.

أولًا نطلب من رب العالمين أن يزيل عنا كل ما يمنعنا من الشكر وأن يجعلنا ملازمين على شكره، ولا بد أن نسأل الله الدوام على شكر النعمة (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) فنحن معترفون أن ما بنا من نعمة فمن الله، أنت وحدك يا رب العالمين الذي أنعمت علينا بها.

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) سبحان الله، فذكر نعمة والديه، أن الله أنعم عليه هو وعلى والديه، لأن صلاح الولد نعمة على الوالدين بما يدخل عليهما من مسرة في الدنيا وما ينالهما به من دعائه وصدقاته، ثواب عظيم، فأنت نفسك النعمة إذا كنت صالحًا فالنعمة عليك وأيضًا على والديك أن رزقهم ولدًا صالحًا. والله إنه معنى عجيب، أن يكون الوالدين منعم عليهم بولد يطلب من رب العالمين أن يعينه على الشكر، ويعترف بأنه أنعم عليه بالصلاح، وأنعم على والديه بأن يكون لهما ولد صالح. فهو -سبحانه وتعالى-، المنعم بصلاح الأبناء. الأبناء لو كانوا صالحين، سيكون موقفهم مثل موقف سليمان -عليه السلام- من دعاء رب العالمين أن يكونوا من الشاكرين، فيكونون شاكرين فيكونون نعمة على أنفسهم وعلى والديهم.

(وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فانظر وقت ما يكون الإنسان شاعرًا بنعمة الله، موقف حرج خطير بين أن يعجب بما أعطي، ويرى لنفسه فضلًا ويرى لنفسه مكانة عند رب العالمين لأنه أعطاه هذه النعمة، أو ينكسر ويذل ويقول: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) يا رب أزل كل سبب يمكن أن يمنعني من شكرك، (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) هذا هو الشكر العملي؛ لأن من شعر بنعمة الله اعترف بنعمة الله؛ شكر الله بلسانه وشكر الله بجوارحه فصلى وصام وقرأ القرآن وأنفق مما وهبه

الله، واستعمل قدراته في طاعة الله. فهذا عمل صالح يرضاه الله (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فما أعظم الشعور بنعمة الله، شعور يعين الإنسان على أن يستقيم في الحياة، أن يطلب من رب العالمين أن يلهمه ويوفقه للشكر، نسأل الله أن يوفقنا للشكر، "اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ"[2] هذا الدعاء يجمع هذه الآية (أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) وفقني لأن أعمل صالحًا ترضاه؛ لأن ليس كل عمل أقوم به يكون صالحًا يرضاه رب العالمين، وإنما الصالح الذي يرضاه رب العالمين هو الذي يكون سالمًا من المفسدات والمنقصات، وهذا ما يكون إلا بتوفيق من رب العالمين. (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) العباد الصالحين الذين يقصدهم سليمان -عليه السلام- هم العباد الشاكرون الذين على رأسهم الأنبياء والمرسلين، وأعظمهم نبينا محمد ﷺ، الذي قال: "أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"[3] سبحان الله، صفة عظيمة تدل على سلامة النفس وصلاحها، وليعلم أن الكفر والجحود إنما هما دليل على فساد القلب، فساد النفسية، خسة الطباع، والشكر والاعتراف بالنعمة إنما تدل على سلامة النفس وعلى صلاح الطباع. هذا موقف من مواقف سليمان عليه السلام.

ثم يأتي موقف آخر بنفس الصورة؛ نعمة عظيمة تأتي لسليمان -عليه السلام-، ويقف الموقف الحرج بالنسبة لنا، أما بالنسبة لسليمان -عليه السلام- والأنبياء والمرسلين فهم من الموفقين، لكن رب العالمين يعلمنا أن هنا في المواقف الحرجة وقت ما ترزق نعمة، ما شأنك؟

---

[2] ()أخرجه البزار (2075).

[3] () أخرجه البخاري (6471).

فيأتينا موقف ملكة سبأ التي كانت تسجد للشمس هي وقومها، وأتى الهدهد بالخبر لسليمان -عليه السلام-، وتحكى لنا الأحداث، وتصل الأحداث إلى أن يكون سليمان -عليه السلام- عارضًا عليها الإسلام لكن بطريقة ذكية زاكية، يريد أن يبين نعمة الله عليه، ويريد أن يبين أن رب العالمين، الملك العظيم، هو الذي يستحق أن يعبد، وهو الذي يكرم عباده إن شاء، وكانت قضيتها العرش الذي يدل على قوة السلطان ويدل على فخر الأمم، هذا العرش الذي أشار إليه حتى الهدهد، قال: (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ).

سليمان -عليه السلام- ألهمه رب العالمين أن يأتي بعرشها قبل أن تأتي، فإذا رأت عرشها عرفت قدرة الله، وعظمته -سبحانه وتعالى-، ومن ثم يحصل منها التسليم. هنا نريد أن نعرف موقف سليمان -عليه السلام-، نأخذ هذا الجزء من القصة، عرض سليمان على جلسائه أن يأتوا بالعرش (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) قبل أن يأتوا مستسلمين. عرض عفريت من الجن أن يأتي به قبل أن يقوم من مقامه، ثم أتى عرض آخر أكثر سرعة، نرى سليمان -عليه السلام-، ما كان موقفه لما أتاه هذا العرض ثم رآه مستقرًا عنده، موقف آخر من المواقف التي تدلنا كيف نزكي أنفسنا حين تجري أمامنا النعم، في الموقف الأول لما تبسم ضاحكًا من قول النملة، كيف كان شعوره وهو قد عرف حتى عند البهائم، بل حتى عند الحشرات، الدواب الصغار، عرف بعدله، ما شعوره؟ مباشرة توجه لرب العالمين وقال: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) وهنا رأى أمرًا عظيمًا، قدرة وقوة في جنده وسلطانه، ماذا فعل؟

(قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40))

هذا هو الذي حصل (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ) انشغل بماذا؟ هذا موقف يحصل به الانشغال مباشرة، لكن هو مباشرة لما رآه مستقرًا عنده مباشرة (قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي) هذا إنما هو محض فضل من رب العالمين، ليس لي فيه شيء، فما اشتغل سليمان حين أُحضر له العرش بأن يبتهج بسلطانه ولا بقدرة رجاله أبدًا، ولا بإنجازاته، لكنه انصرف إلى شكر الله تعالى على ما منحه من فضل، وأعطاه من جند مسخرين، وبيّن أن هذا اختبار، وهذا موطن عجيب في القرآن، أنه في وقت التفضل؛ مباشرة استحضر أن هذا اختبار (لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) أي: ليختبرني، ما اغتر بملكه ولا بسلطانه ولا بقدرته كما يغتر الجاهلين، علم أن هذا اختبار من ربه فخاف ألا يقوم بشكر النعم، فقال (لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) إنه بلاء، التمكين بلاء، القدرة بلاء، فربنا المحسن إلينا ينعم علينا ليبلونا ويختبرنا أن نكون لحظة العطاء واعين أن هذا اختبار فنشكر، أم يحصل كفر فنظن أننا مستحقون، ويأتيك الكلام الفارغ عن الامتنان، ويمتن الناس لأنفسهم، ويمتنون لأدواتهم، وأمور مستوردة ما فيها إلا الكذب على الله، والكذب على رسوله ودينه، وإلا من هذا الذي يقول إنه مستحق النعمة، واليوم كثرت المناداة بجملة رفع الاستحقاق، وهذا داء عضال إذا أصاب الخلق ماتت قلوبهم. لا أحد يشحن الناس فيقول لهم: (ارفعوا استحقاقكم) إذا كانت حقوق وواجبات هذا شأن آخر، لا نريد من الناس أن يتنازلوا عن حقوقهم ونريدهم أن يقوموا بواجباتهم،

لكن أن يدور بين الناس أنهم مستحقون إلى أن يصل في كلامهم أنهم مستحقون على رب العالمين! نعوذ بالله من الكفر.

(أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) ثم بيّن قاعدة في غاية الأهمية (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) من قال لك إن الله ينتفع بشكرك؟ هذا الشكر لا ينتفع الله به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، وهذا واضح في القرآن، جاء في معنى هذه الآيات آيات متعددة (مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) كما في فصلت.

(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) كما في الروم.

(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) كما في الإسراء.

وهذا موطن عجيب في سورة النمل لأنه موقف عطاء من رب العالمين يفسره لنا سليمان -عليه السلام- أنه اختبار (لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ) بأن نسب النعمة لنفسه، بأن قال: (هذه إنجازاتي، أنا مستحق لهذا، هذا ذكائي) وإلى آخر ما نسمع من الكذب وخداع الناس وتعليمهم الباطل، فالجواب أن من كفر فإن الله غني عن شكره، وغني عن أعماله، وكريم أيضًا -سبحانه وتعالى- كثير الخير، يعم بخيره الشاكر والكافر. وها نحن نرى إمهاله ورزقه في الدنيا لأهل الكفر.

(فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) ربي هو الذي أنعم على الجميع لكن (مَن شَكَرَ) كل أحد يشكر الله بقلبه وأعماله ولسانه يجب أن يستحضر أن عمله هذا إنما هو لنفسه، يرجو ثواب الله ورضاه في الآخرة، ويرجو دوام التفضل

من الله عليه في الدنيا، فالنفع حاصل للإنسان في الدارين، ولا ينتفع الله -عزَّ وجلَّ- بأي شيء من هذا أبدًا، ولنحذر كما حذرنا رب العالمين.

بعدما سمعنا موقف سليمان -عليه السلام- وتعلمنا هذه القاعدة، وأن كل النعم حين تأتي ركز أنت في موقف حرج بين أن تقول: (هذه النعمة ليبلوني ربي (أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ)) وتقول: (أنا من الشاكرين يا رب العالمين (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ)) وبين أن ينسى الإنسان ويدخل فيما أخبر عنه -سبحانه وتعالى- في هذه السورة في الآية 73، أخبر عن خبر يجب أن نتقيه:

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ)

يجب أن نخاف من هذا الوصف، وإن ربك لذو فضل على الناس، بعد أن أخبر -عزَّ وجلَّ- عن عظيم نعمائه في هذه السورة، بعد أن قال: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) ثم عدد سبحانه وتعالى (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) عدد نعمه -سبحانه وتعالى- إلى أن وصلنا إلى هذه الآية، فضله عظيم على الخلق أجمعين، (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) أكثر الناس لا يشكرون، فكن مع أقلهم أيها المؤمن، فلنكن حذرين، ربنا فضله عظيم وإنعامه كبير لكن أكثر الناس لا يعرفون حق النعمة فلا يشكرونها، يذنب الإنسان فيحبس الله -عزَّ وجلَّ- عنه العقوبة، فلا يشعر أنه في نعمة أن حُبست عنه العقوبة، يذنب الإنسان وينسى فيذكّره رب العالمين ليستغفر ويتوب، نعم لا نهاية لها في ديننا ودنيانا، فلنحذر أن نكون مع أكثر الناس الذين لا يشكرون، ولنعلم أن نعمة الله

علينا عظيمة، وأن فضله كبير. لنكن حريصين على أن نحمل أنفسنا على حمد رب العالمين. ولننظر لختام السورة ونرى كيف كان التأكيد على هذا المعنى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) هكذا ختمت سورة النمل، وقل الحمد لله، له الحمد في الأولى والآخرة من جميع الخلق، خصوصا الخلق الذين اختصهم الله واصطفاهم بأن يكونوا شاكرين، الواجب علينا أن نراجع أنفسنا ونرى صلاح أنفسنا في أن نكون من الشاكرين، الواجب علينا أن نكثر من الثناء والحمد على ربنا لترتفع درجاتنا ولتزيد قرباتنا ولنكون أكثر خيرية على أنفسنا وعلى غيرنا.

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) الحمد لله الذي هدانا للدين الحق من التوحيد وشرائع الإسلام، الحمد لله الذي هدانا بما أنزل علينا من القرآن، الحمد لله الذي هدانا بإرساله لنبينا محمد ﷺ، هذا من أعظم النعم علينا في الدنيا، وسيكون أثرها علينا في الدنيا والآخرة عظيم.

الحمد لله كلمة جامعة لمعاني من المحامد عظيمة، ولذلك سمعنا (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) لكن أكثر الناس لا يشكرون فختمت السورة بأمرنا أن نقول: (الحمد لله) فاللهم اجعلنا من الحامدين الشاكرين الذاكرين لنعمائك غير الغافلين، اجعلنا نحن وأحبتنا جميعًا وذرياتنا ممن كتبت لهم أجر الشاكرين، والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.